

المدرسة الفقهية بمازونة حاضرة الثقافة في الغرب الجزائري

بعد تاريخي ومركز إشعاع ثقافي

The mazouna school of Islamic jurisprudence : a cultural hub in western Algeria, between historical heritage and cultural radiance .

1 الشيخ قاسم

جامعة وهران ، (الجزائر) ، chikhkacem02@gmail.com

تاريخ الإرسال 2026-05-30. تاريخ القبول 2026-07-27 تاريخ النشر 2026-09-20

ملخص:

ساهم الغرب الجزائري مساهمة فعالة في نشر العلم والمعرفة، وكان له الحظ الأوفر في ذلك مثل أترابه عبر كامل التراب الوطني. فحاضرة مازونة التي ضمت فطاحل العلماء وأمت الكثير من طلاب العلم، كانت النبراس المنير والحصن الحامي للعلم؛ ومدرستها شاهدة على ذلك، ومازالت قائمة تحكي للأجيال ما تكبدته من عناء في نشر العلم والمعرفة، فقد رابطت مازونة طيلة عهود على مكانتها العلمية رغم الحروب والهجمات، وبقيت على مآز العصور مزار العلم والعلماء، سنورد في هذا المقال البعض من آثار المدرسة الفقهية لمازونة وأثرها الإشعاعي في نشر الثقافة والمعرفة في الغرب الجزائري.

الكلمات المفتاحية:

حاضرة ; مرابطة ; العلم ; مدرسة ; الفقه .

Abstract:

The Algerian West contributed effectively to the spread of science and knowledge, and had the greatest fortune in this regard, like its eyes across the entire national territory. The city of Mazuna, which included the interests of scientists and the mother of many students of science, was Al-Nabras Al-Muniro Al-Husn, the protector of science, and her school is witness to this, 'is still a list of generations that have suffered in the effort to spread knowledge and knowledge. For centuries, Mazuna has been linked to its scientific status despite wars and Attacks and remained throughout the ages and the shrine of science and scientists, we will mention in this article some of the effects of the school of jurisprudence of Mazuna and its impact on the dissemination of culture and knowledge in the West of Algeria

Keywords:

Present - stationed-knowledge- school- islamic jurisprudence

المقال :

1. مقدمة:

إنّ المتجول في مدينة مازونة حاضرة الثقافة العلمية وحسن معرفة الغرب الجزائري، يدرك منذ الوهلة الأولى أنّها مدينة ضاربة في التاريخ، إذ مازالت منارات العلم فيها شاهدة على ذلك، من ذلك المدرسة الفقهية، المعلم الأثري الجميل الذي يشد الانتباه، ويوحى بعظمة الشيوخ الذين وطنوها، فطرازها المعماري وإن كان عثمانيا تركيا، إلا أنّ فيه ملامح أنامل جزائرية طبعت المكان بقديسية رائعة.

وبنايات المساجد في هذه المدينة لا تزال شاهدة على عمارة الوافدين إليها من علماء وطالبي علم، خلال أرواح مختلفة من الأزمان، وإن كانت قد غُسلت بثقافة العصر، فالمعمار الحديث أخذ حظه، والطابع الجزائري المغربي صار واضحا للعيان، كما أنّ التكنولوجيا العصرية تغلغلت في روح المكان فزادته رونقا وجمالا وعطرا وكمالا، ولا يمكن للمرئاد أو الزائر أن يستغني عنها.

إن تاريخ المنطقة زاهر، كما أن لمنازة العلم التي رُفعت بها (مدرسة مازونة) الأثر البالغ في تخليدها، والحديث عنها يدل على أنّه كان لسكانها رغبة عارمة في طلب العلم والمعرفة ونشره في مختلف الربوع، فبالعلم تشتهر الأماكن ويعلو صيت أعلامها. فقد تخرّج من مدرستها كبار علماء المغرب الأوسط في تلك العصور.

من المعلوم تاريخيا أن " مازونة عاصمة لإمارة مغراوة منذ تأسيس الدولة الزيانية التي اتخذت تلمسان عاصمة ".¹ وكانت هذه المنطقة وغيرها من المدن الجزائرية التي تعرضت باستمرار لغارات ومداهمات عبر التاريخ، كغارة الهلالين الذين كانوا يحاولون دائما الاستيلاء على مسالك المدينة للتضييق عليها والتحكم في منابعها. وعن هذا الأمر يخبرنا ابن خلدون قائلا: كانت مدينة متحضرة جدّا في القديم لكنّها كثيرا ما تعرضت للتخريب من قبل ملوك تونس، وتارة من قبل الثوار، وتارة أخرى من الأعراب.² كما يقول أيضا في موضع آخر أنّها قبيلة بربرية مغربية، وكان دينها المجوسية، وفي بعض الأحيان يدينون بدين من غلبهم من الأمم.³ إلى أن وصل إليهم الإسلام في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه . وكان ذلك قهرا لأنّ ملكهم " وزمار بن صولاق " تصدى لجيش الفتح الإسلامي فغلب وأسلم، فكان ذلك سببا في إسلام قبائل مغراوة.⁴

وبعد أن وصل الإسلام إلى هذه الربوع الطاهرة عرفت المدينة التحضر نتيجة انتشار العلوم الإسلامية وتوافر مراكز نشر المعارف من مساجد ومدارس وزوايا، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: " ووسط هذه الصور المضطربة للحياة السياسية كانت هناك بعض المدن تنمو بعدد سكانها وتشجع بمدارسها ومساجدها ثقافة يتغذى منها المجتمع روحيا وعقليا ، ومن هذه المدن نذكر تلمسان ، قسنطينة ، بجاية ، مازونة ، وهران ، الجزائر ، عنابة ، بسكرة " ⁵

2. في هذه المدن كانت هناك عائلات اشتهرت بالعلم والثقافة والتأليف وبالزهد والتصوف، والتاريخ يشهد بذلك.

احتضن فضاء مازونة عددا من الفقهاء أمثال : موسى بن عيسى صاحب "دِيَاجَةِ الْإِفْنَحَارِ فِي مَنَاقِبِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْأَخْيَارِ" و "الرَّائِقُ فِي تَدْرِيبِ النَّاشِئِ مِنَ الْقُضَاةِ وَ أَهْلِ الْوَثَائِقِ" و "حِلْيَةُ الْمُسَافِرِ وَآدَابُهُ وَشُرُوطُ الْمُسَافِرِ فِي ذَهَابِهِ وَ إِيَابِهِ" وابنه يحيى صاحب " الدرر المكنونة في نوازل مازونة" ⁶ .

وكان لهجرة الأندلسيين إلى الجزائر أثر كبير في جميع الميادين فحينما اشتد عليهم الخناق من طرف الإسبان في القرن التاسع . تدفقوا جماعات يطلبون الأمن والنجاة بدينهم ، " فكانت المأساة الإنسانية في الأندلس خيرا وبركة على مجتمع المغرب العربي الذي كان دائما يلعب دور الوسيط في الإنتاج الثقافي " ⁷ .

فللأندلسيين اليد الطولى في نقل بعض العلوم ، وتغيير أنماط التعليم الذي كان مقتصرًا على تحفيظ الناشئة القرآن الكريم، حيث أضافوا إلى ذلك تعليم الحديث والقواعد العامة لمختلف العلوم، كما علموا روايات القرآن الكريم وأنواع قراءته .

وما تجدر الإشارة إليه هو أنّ مازونة كانت مدينة علم وثقافة، لم تفتقر عن المد والعطاء في وقت ما، فكان القاصد لها يحفظ كتاب الله فيها ويستزيد فقها وعلمًا وحلما، ومن الكتب التي كانت تُدرّسُ بها :مختصر الشيخ خليل ، فكان العلماء الذين يقدمونه حجة فيه لا يماريهم فيه أحد كما قال "الحافظ أبي راس الناصري" .

ولعلم الفرائض (علم الميراث) حظ في هذه المدينة. يقول الحافظ عن الشيخ " ابن علي المغيلي " واصفا إياه أنّه صاحب الأصول والفروع في فقه مختصر خليل، كما يُروى عن الشيخ الصّادق بن فغول أنّه : أكثرهم حفظا وأتقنهم للمصنف ⁸ .

رابطت مازونة طيلة عهود على مكانتها العلمية رغم الحروب والهجمات وبقيت على مَرِّ العصور مزار العلم والعلماء، فقد استقبلت العديد من علماء الأندلس وطلابها النابغين " ويعود الفضل إليهم في استرجاع دورها العلمي الذي خربته الغزوات المرينية من قبل " ⁹ .

ولهذا الزحف الأندلسي الأثر البالغ على الحياة الفكرية بالمنطقة وعلى كل أنماط الحياة " فقد تغير الطابع العمراني لأهالي مازونة وأصبحوا يتناولون مادة القرميد والزليج لبناء بيوتهم بدل اعتماد الشكل التكميبي في البناء، واتخذوا طوابق لعماراتهم ورياضا وبساتين لساحاتهم، كما ازدهرت تجارة وصناعة الذهب بدخول محترفين يهود مغاربة " ¹⁰ فازداد إشعاعها العلمي وعلا صيتها، وخاصة لما بنى بها الشيخ محمد بن الشارف الأندلسي البلداوي مدرستها العريقة التي ما زالت شاهدة على ثراء المنطقة العلمي، والتي أصبحت الآن تسمى بمسجد التّرك، فلقد بقيت صامدة في وجه أعاصير التاريخ تُعلم وتُنظم لمدة ثلاثة قرون. ¹¹

تتلمذ بها مشاهير أمثال: الشيخ سيدي مصطفى الرماسي الراشدي، الشيخ سيدي أحمد بن طكوك المجاهري، الشيخ بوراس المعسكري، الشيخ السنوسي المجاهري، الشيخ بلقندور المستغامي، الشيخ ارزقي الطويل الزواوي وسيدي عدة بن غلام الله التبارتي . والقائمة طويلة لا يسع المقام سردها.

وإن ذكرنا هذه الأسماء فلا يمكن لنا بأي حال من الأحوال إغفال أخرى برزت في سماء العلم وتركت بصمات لا يمكن لعوامل النسيان أن تمحوها وتزيل أثرها "كالمغيلين (عيسى بن موسى، وابنه يحيى - سابق الذكر - والشيخ سيدي أحمد الونشريسي صاحب "المعيار المعرب وبيان المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب"، المتوفى سنة 1508م، والشيخ أحمد بن محمد بن زكري المازوني صاحب شرح العقيدة ابن الحاجب المتوفى سنة 1493 م¹².

وإن كان يظهر أن هذه الأسماء في هذا البحث تُعدُّ على الأصابع ولكن الواقع غير ذلك فالقائمة طويلة جدا، لا يمكن سردها في هذا المقام، فلقد ضمت منطقة مازونة رجالا عظاما ملئوا عنان السماء علما وحلما. وقصارى القول إنّ مازونة مدينة علم أخذت العصمة بيدها ردحا من الزمن، ومعلما بارزا وجب على كل رحالة أو طالب علم ولوج أبوابها والمكوث بها مالا للعين بجمالها ومالا للأذن بعلمها، فمازونة مدينة العلم والثقافة والأدب. رحم الله من صنع مجدها ورفع منارة العلم بها .

– الامتداد التاريخي والجغرافي للمنطقة :

إنّنا إذ نود الحديث عن فضاء ثقافي وتاريخي هام، لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نغفل ذكر تاريخها وأصل تسميتها، ونقصد في ذلك الموضوع الحديث عن "مازونة". يقول ابن خلدون أثناء ترحاله ما بين أقطار وممالك المغرب الكبير بأرجاء قلعة بني راشد ومازونة (غليزان)، ونسب تأسيسها للسيد : عبد الرحمن بن النّعاس أمير مغراوة وحليف سلطان الموحدين منتصف القرن الثاني عشر ميلادي ولآله من الأسرة المنديلية المنحدرة من النسل الخزاري المغراوي.¹³ ويرجح الأستاذ : مولاي بلحميسي في كتابه "مازونة" إنّ الأسرة الأصلية الأولى لقبيلة مغراوة التي لجأت أواسط القرن الثاني قبل الميلاد من سهول "متيجة" للإستقرار فيما سيؤسس فيما بعد، ويسمى "الماسوني" حليفة ماسينيسا ملك "سيرتا" النوميدية.¹⁴ وإنّنا من خلال بحثنا المتواضع خلّص لدينا أنه من الصعب تحديد تاريخ تأسيس المدينة وذلك لعدة أسباب نذكر منها (انعدام الوثائق المحددة لأصل التأسيس).

ولكن الحفريات المكتشفة على تراب المنطقة توحي بأن التأسيس قديم جدا ضارب في أعماق التاريخ، يعود إلى العهد الروماني وقد ثبت ذلك بالعثور على آثار وقطع نقدية رومانية .

يقول الرحالة الإسباني "مارمول" في كتابه : الوصف الشامل لإفريقيا . وهو يقوم بجولة عبر المغرب العربي خلال القرن السادس عشر، أنّ مازونة مدينة قديمة أسسها الرومان، مستندا في ذلك على وجود آثار رومانية ولوحات منقوشة.¹⁵ وما يثبت ذلك ما ورد في كتاب الأبواب المأذونة ... أن الرومان حطوا في المنطقة وعمرها بها : "الشواهد الرومانية التي اكتشفها الفرنسيون قبل اندلاع الثورة التحريرية، بينت الطابع العسكري لتواجد الرومان في

مراحله الأولى، ثم طابعه الإستغلالي في مراحله التالية، فالقرى والحميات وقواعد القلاع العسكرية " بمازونة " وضواحيها لكفيلة بإثبات هذا التحديد الذي ذكر " 16.

ومن خلال بحثنا لاحظنا أن وجود هذه المدينة كان قبل العصر الروماني بكثير، فالمنطقة كانت معمورة منذ العهد النوميدي بدليل وجود القبائل البربرية التي تذكرها المصادر وهي قبيلة مغاوة .¹⁷ أما مصدر التسمية فيه اختلاف واسع فاسم " مازونة " هو اسم زعيم قبيلة زناتية يدعى " ماسون " .¹⁸

يقول : لوكيل يوسف المازوني (1884-1940) إن مازونة تأخذ اسمها من اسم ملكة كانت تملك كنزا كله نقود يسمى " موزونة "، وعن ذات الراوي هناك قول آخر يرجح أن " مازونة " هو اسم لبنت ملك يسمى " ماتع " وابنته " زونا " و نسب لها ماء " ماء زونا " ¹⁹ ، و لعله الأقرب إلى الصحة.

هذه المدينة عريقة لها تاريخ هام كما سبق الذكر تقع في قلب جبال الظهرة، هذه الجبال جزء من سلسلة جبال الأطلس التلي، جمعت حضارات عدة وصفها الرحالة وأهل العلم بأنها مدينة العلم والثقافة، وسميت أم الأحكام المكنونة. انتهل من علمها الكثير من مشاهير العلماء العرب عامة والجزائريون على وجه الخصوص فكانت منارة علم ودار حضارة عبر الأزمان، يصفها الكثير من العلماء وخاصة الرحالة منهم : " هاينرش فون مالستان " الذي زار المنطقة فيما بين (1852-1857) توقف عند " مازونة " فقال : هي مدينة عربية، وصلنا مساءً، هي أول مرة أشاهد مدينة كهذه المدينة، تأخذ الطابع العربي بدون هندسة معمارية أوروبية مبانيها بسيطة جدا وفقيرة مقارنة بالأحياء العربية في مدينة الجزائر .²⁰

والزائر لهذه المدينة يلاحظ هذه الأوصاف دون عناء، فمازونة القديمة وحيثها الرئيسي القديم ما يسمى بحي القَصْبَة، مبانيه بسيطة، زقاقه ضيقة لا يمكن لزائرها المتفقد لأحيائها إلا السير راجلا، فالزقاق ضيقة لا يمكن للسيارات ولوجها. وهذا الطابع العربي أصيل يدل على أعراف وتقاليد عربية أصلية، فكما للمدينة بوابات مشهورة، فالأحياء الصغيرة لها بوابات لا يدخل الغريب إليها حتى يمر بأعيان الحي لمعرفة قصده ووجهته. فالزقاق عرضه حُسِبَ آنثذ بميزان فهو لا يتعدى المتر إلا بقليل يسع الدابة المستعملة في النقل ذلك الوقت وهي : الحمار، يحمل فوقه شبكة الحطب، يزيد عن ذلك فجوة تمكن المار الذي يسير في الاتجاه المقابل من العبور.

يقول عنها الرحالة الأوروبي " نتاريو " أنها مدينة في أعالي حوض شلف واقعة على جبال صغيرة مبنية على أرض ملتوية.²¹ وقال آخر : مازونة هي بلد جميل جدًا له أصالة عربية تجلس على جانب وادي واريزان الذي يصب في وادي الشلف، منظر الحدائق لطيف يكتسي طابعا غذائيا موقعها طريف، لها مياه عذبة يكمن جمالها في حب الزّمان ...²² كما يشير الكاتب اللاتيني " بلان " الذي عاش خلال القرن الأول من العهد المسيحي الأول إلى وجود قمح الظهرة و إنتاج المنطقة للزيت.²³

هذا ما أشار إليه الغربيون عن مازونة الحضارية، أما ما رآه الرحالة والعلماء العرب عن هذه المنطقة التاريخية، هو: حيث ذكرها " ابن بطوطة " :²⁴ وذكرها " اليعقوبي " وهو يصف قرى وادي الشلف يقول : عليه قرى وعمارة

يفيض كما يفيض نيل مصر، أما ابن خلدون يقول في العبر : يمر في وادي شلف بني واطيل النهر الأعظم منبعه من بلد الراشد في بلد الصحراء، ويدخل إلى التل ثم يمر مغربا ويجتمع فيه سائر أودية الغرب الأوسط مثل مينا وغيره، إلى أن يصب في البحر الرومي ما بين كليميتوا" بلدية السور حاليا " ولاية مستغانم، وتقوم عليه عدة مدن أهمها شلف ومدينة واريان (مدينة محاذية لمازونة) حيث لهم كروم كثيرة و معظمها على نهر الشلف.²⁵

كما تعرض لوصف مازونة "العبدري" في رحلته المغربية التي اختصرها بن ابراهيم المراكشي فقال : ثم رحل على طريقه الأولى إلى مليانة، فتيا من منها على طريق مازونة مثنى خطوب الزمن ، بليدة مجموعة مقطوعة من بعض جهاتها بجوف واد منقطع شبه قلعة ، ولكنها واهية حسا ومعنى وليس بها ما يتعرض لذكره البتة²⁶ . و يذكر أبو عبد الله الإدريسي أن : مازونة بالمغرب بالقرب من مستغانم... وهي مدينة بين أجبل ولها مزارع و بساتين عامرة.²⁷ يرى الدكتور أبو القاسم سعد الله: المعروف أن مازونة كانت عاصمة إقليمية بعض الوقت في العهد العثماني الأول، كانت مدينة العلم والعلماء بنزول العديد من الأسر الأندلسية بها، ورسوخ أشرافها، وشهرة مدرستها...²⁸ أما الشيخ عبد الرحمان الجيلالي فيقول: كان اختطاط مازونة هذه المدينة بعمالة وهران سنة 565 هـ /1170 م على يد بني منديل ابن عبد الرحمن المغراوي أشهر زعماء قبيلة مغراوة وهي إحدى فصائل القبيلة الجزائرية الكبرى " زناتة" . اشتهرت هذه المدينة بحسن الموقع وجماله وعذوبة الماء، وسميت باسم إحدى فصائل مغراوة الزناتة " مازونة " .²⁹

ويقول الفقيه والعالم الرباني سيدي أبي راس الناصري : ثم سافرت أول صومي إلى " مازونة " مدينة مغراوة، بناها منديل بن عبد الرحمن أول القرن السادس.³⁰

ولما بلغت نسمات هذا الدين الحنيف سماء "مازونة"، زادها رونقا وجمالا وبهاء، فعمرت المدينة بالمساجد ودور العبادة ومراكز التعليم والزوايا القرآنية، ووصل إليها الدين الشريف كما وصل إلى أنحاء المغرب العربي عن طريق الفاتح العربي المغوار : "سيدي عقبة بن نافع الفهري". وكان ذلك منذ القرن الأول الهجري وكان لهذا المد الإسلامي الأثر البالغ في انتعاش المنطقة علما وحلما، فكثر بها المكتبات وبرز فيها العديد من العلماء .

والمنطقة كسائر المناطق العربية عبر التاريخ تعرضت للعديد الهجومات وكان لذلك الأثر البالغ على الحياة الثقافية والفكرية فيها. "فقد قام أبناء منديل بالإستيلاء على مغراوة ، و قادوا حربا ضد " التوجين " فهزمهم هذا الأخير في جبل ونشريس، وانقضوا إلى مازونة ومكثوا بها طويلا، حتى اعتبرهم الكثير أنهم السكان الأصليون لمازونة .³¹

كما تذكر مصادر أخرى مثل: تاريخ الجزائر الثقافي وتاريخ الجزائر العام ، أنه " لما قامت الدولة الزيانية العبدائية بتلمسان، نشأت عداوة بينهم وبين مغراوة، فقام السلطان عثمان بن يغمراسن بن زيان بإخضاع البلاد الخارجة عن نطاق دولته، فاستولى على مازونة سنة 686 هـ، ثم على الونشريس وتنس والمديّة سنة 688 هـ³²

2.2 - موقع مازونة الجغرافي :

يقول الإدريسي : مازونة بالمغرب بالقرب من مستغانم، وهي على ستة أميال من البحر، وهي بين أجبل، ولها مزارع وبساتين عامرة، ولها يوم يجتمع فيه لسوقها أصناف البربر بضروب من الفواكه، والألبان، والسمن والعسل، وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فاكهة وحسبا.³³

ويقول العبدري واصفا إياها : مازونة مثوى خطوب الزمن ، كما ذكر سابقا .³⁴

وهي مدينة جميلة تقع على جبال الظهرة ، والزائر لها يعجب لها و لموقعها الجميل ومناظرها الخلابة التي ألهمت الكثير من رجال العلم والدين ، تصلح لأن تكون قلعة حصينة، فهي تقبع على ربوة عالية تطل على الزائر فيعجب لجمالها، بناياتها متناثرة هي الآن تابعة إداريا لولاية غليزان، رقمها البريدي 48002، تنقسم إلى قسمين مازونة القديمة، وتضم حي القصبة العريق الذي يضم بدوره مسجد سيدي عبد الحق الذي كان من أهم مدارس مازونة القديمة، ومازونة الجديدة التي بنيت على الطراز الحديث مثل باقي مدن الجزائر الحديثة .

تحدها من جهة الشمال بلدية سيدي محمد بن علي " مستوطنة ارنو الفرنسية" سابقا، ومن جهة الجنوب بلدية " واريان"، أما من جهة الغرب بلدية " القطار " وتحادي ولاية الشلف ببلدية " عين امران " .

3 مراكز التعليم و إصدارات الإشعاع العلمي بالمنطقة :

المدرسة هي مؤسسة علمية تشاد لهدف واحد وهو نشر العلم والمعرفة، توفر لمرتاديها المبيت وكل متطلبات الحياة اليومية، زيادة على التربية والتعليم. هي " ابتكار إسلامي إذ أنّها لم تكن معروفة من قبل على هذا الشكل، فدور العلم التي سبقتها سادها التعليم غير الرسمي، ويعرفها أبو راس الناصري بقوله : المدرسة المتعارفة عندنا الآن هي التي تُبنى لدراسة العلم أي تعليمه وتعلّمه."³⁵ تكسب ميزانيتها من الهبات أو اشتراكات أولياء الطلبة الميسورين أو أهالي المنطقة أو الأوقاف والمحسبات التابعة للمساجد من كل ما يمكنه ذر مداخيل لتمويل حاجيات المدرسة .-

وتقوم المدرسة على تعديل سلوك المتعلمين نحو الأحسن وتزويدهم بمهارات ومعارف وخبرات لا يمكنهم التعرف عليها إلا بالممارسة والتلقين اليومي من طرف معلمين أكفاء، ولقد انتشرت المدارس في بقاع الأرض مثلما انتشر الإسلام وتوسع . وكانت المدارس هناك في العهد الأول تهم بتحفيز القرآن وتعليم الفقه والعلوم النقلية والعقلية على غرار المدرسة الثعالبية في الجزائر العاصمة.

1.3 الفقه:³⁶

هو العلم بالأحكام الشرعية العلمية التكلفية من عبادات ومعاملات والاستدلال عليها بأدلة من الكتاب

والسنة والإجماع المعتبر أو القياس الصحيح، ومن هذا فهو يقوم على فهم للقضايا التي تعترض الناس

وعلى فهم أحكام الله فيها .³⁷

وفضلا على هدفها الأسمى وهو التعليم ونشر المعرفة، تقوم المدرسة من خلال علمائها بالإجابة عن أسئلة عامة الناس، وما يشغلهم في أمور دينهم ودنياهم، كما يعمل الأئمة على الإرشاد والوعظ والبث في كل نازلة تشغل الأمة. وإننا من خلال هذا البحث المتواضع لم نقف على مدرسة كمدراس تلمسان وبجاية المعروفة بأسمائها كمدرسة أبناء الإمام والمدرسة اليعقوبية والمدرسة اليوسفية...، والمصادر التي طالعناها تقول مدرسة مازونة الفقهية فقط وتسمى المدارس بأسماء المساجد أو تنسب إلى الشيخ الذي يُدرّس بها. كمسجد " عودة " بحج أبي ذلول الذي كان يقوم عليه الشيخ : عبد الوهاب الثعالبي المازوني .³⁸

كانت مازونة مصدر إشعاع ثقافي وثمر حربي، فصيتها اللامع استقطب الكثير من طلاب العلم وحتى العلماء، منهم من درس ومنهم من درّس، حتى أصبحت تنافس الحواضر الثقافية الجزائرية، كحاضرة تلمسان وبجاية وقسنطينة، فقد اشتهرت بتدريس الفقه وفنون أخرى تخدم الفقه كالنحو والصرف وما إلى ذلك

والسبب الذي جعل صيت مازونة يطير في السماء، وتُشدُّ إليها الرّحال، طلبا للعلم والإستزادة منه هو: وجود أعلام لا يشق لهم غبار أنفقوا حياتهم في طلب العلم و نشره في القرن 15 م، منهم : " أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني " الذي كان يشغل منصب قاضي وفقه البلدة ، له عدة مؤلفات ذكرناها آنفا .³⁹

والعالم الثاني وهو الابن : أبو زكريا يحيى بن أبي عمران المغيلي المازوني " كان متزامنا مع والده - موسى بن عيسى المغيلي - فكانا الرجلان يملآن سماء مازونة علما وورعا، فتدفق طلبة العلم عليهما من كل صوب وحذب، عاصرا ملوك الدولة الزيانية. قال الشيخ عبد الرحمن الجيلالي عن يحيى المازوني " الابن " : هو العلامة المشرع الفقيه الضليع والحقوقى البار...تولى قضاء بلدة مازونة، فكان إمام المحققين ومرجع أهل الشورى في الأحكام الشرعية وغيرها، معتمدا مذهب مالك حاملا لواءه بالمغرب في عصره، مطلعا على دقائق المسائل وفتاوى العلماء فيها . له مؤلف مشهور بعنوان " الدُرَرُ المَكْنُونَةُ فِي نَوَازِلِ مَازُونَةِ " .

2.3 مدرسة مازونة الفقهية :

نتيجة الصراع الذي قام بين النصارى والمسلمين على أرض الأندلس، نزح الكثير من العلماء إلى المغرب الأوسط (الجزائر)، فكان للتغيرات السياسية على الساحة الدولية الأثر البالغ في انتعاش الحركة العلمية آنذاك، نزح الكثير من العلماء المسلمين هروبا بدينهم من الفتنة التي استعر لهيبها في الأندلس، وكان من هؤلاء المشايخ سيدي محمد بن الشارف الأندلسي البلداوي الذي أسس المدرسة الفقهية بمدينة مازونة، واستقر بها معلما لأبنائها ومن شد الرحال إليها.⁴⁰ وهي المدرسة التي أسسها ذات الشيخ، كما تشير لوحة التدشين المعلقة بمدخل المسجد، وكان ذلك سنة 1029 هـ، "وقد أسسها وأقامها من ماله الخاص ودرس بها حوالي 64 سنة إلى أن توفي ودفن بساحة المدرسة وقبره موجود بها، عليه قبه تسمى باسمه " قبة ابن الشارف " .⁴¹

" تقول الروايات المتداولة عند أعيان مازونة أن " الشيخ احمد بن الشارف كانت له قطعة لا تصلح للبناء كانت وعرة ، باعها بثمن " 30 دورو " واشترى قطعة أرض أخرى تتوسط المدينة، بنية بناء مدرسة لتعليم الناشئة والراغبين في التعلم وكان له ذلك. قام ببناء المدرسة على الشكل الذي كان متيسرا آنذاك من الخشب ونبات الديس الذي كان متوافرا في المنطقة، حيث مدّ الأهالي له يد العون وكانوا السباقين في التهل من معارف الشيخ "⁴² ، " وقد خلفه الشيخ المجاهد العلامة سيدي هني بن محمد بوطالب البلداوي ". وكانت العائلة من النسب الشريف على سيده أركى صلاة وأتم تسليم . "⁴³ كما كان للمدرسة نظام تسير عليه لضبط الأمور ولإعطاء المدرسة الهيبة، ولم يكن هذا النظام ذا صبغة رسمية .

" كانت تطلب المدرسة من المنتسبين إليها أولا اتمام حفظ القرآن كأرضية أولية للتعلم، وتشترط أن يكون الطالب ذا خلق حسن، يحترم مواقيت التدريس ويحترم المشايخ والقائمين على ذلك، وأن يقوم الطالب بالأعباء الموكلة إليه التي كانت بالتناوب، من تنظيف المكان أو جلب الحطب أو الطعام وباقي الاحتياجات، وكان ذلك خاصا بالطلبة المسافرين " ⁴⁴ (المقيمين بالمدرسة) نظام الداخلية.

وكان لتأسيس المدرسة الفقهية بمازونة بُعد سياسي إن لم نقل بُعد إيديولوجي، بأن تكون المدرسة ملكية خاصة ليست لها أي تبعات حكومية أو جهات رسمية متحكمة بأن يكون التسيير خاصا من لدن الشيخ وعائلته فقط، لا دخل لأيٍّ كان في تسييرها أو فرض قوانين عليها، ولما كانت العائلة تنتسب إلى النسب الشريف كما سبق الذكر، فقد اكتسبت هبة في الأوساط الاجتماعية بلغت حد القداسة، فالعامة من الناس يججلون المشايخ و يحترمونها أيما احترام فكان الأثرياء يدفعون زكاة أموالهم إلى الشيخ وجميع صدقاتهم، زيادة على القيام بإصلاح الفاسد من المدرسة ومساعدة الطلبة ماديا .

وكانت هذه المساعدات المادية تعتبر رافدا هاما في إنعاش خزانة المدرسة، إلى جانب دخل الأوقاف والمحسسات التي كان يعود خراجها إلى فائدة المدرسة، حتى تبقى المدرسة حرة في إدارتها، لا يتسلط عليها أحد فيغير مسارها أو هدفها الأسمى وهو التدريس ونشر المعرفة الدينية الإسلامية .

وقد ثبت لدينا تصور من خلال هذه الدراسة، أن المدارس بمازونة كانت مساجد باستثناء المدرسة الفقهية، وكانت ملكا لعائلات دون غيرها، تواتر التدريس بها في سلالة العائلة أبًا عن جد، وكان تأسيس هذه المساجد بإرادة خاصة ودوافع دفينه كان يريدونها أصحابها نشر الدين الله السمح على بينة وهداية .

وكان لهؤلاء النخبة من علماء مازونة ، الذين سطع نجمهم وعمّ الربوع ضياء وسناء. اشتهرت مدرسة مازونة، فصارت منارة يُهتدي بها، ومصباحا يقتبس من نوره .

والواضح من خلال تتبعنا لمسار المدرسة العلمي أنها كانت تورث العلم والمعرفة لا المنصب والسؤدد لأبنائها " فكان العلامة المؤسس الوافد الأندلسي سيدي عبد الرحمن محمد بن الشارف البلداوي الأندلسي المازوني أورثها إلى ابنه الشيخ علي، ومن بعده ابن الابن الشيخ محمد بن علي المعروف بأبي طالب المازوني، وخلفه فيها حفيده بعد وفاة ابنه المباشر سيدي هني في واقعة مسرغين (ضد الإسبان)، وكان الحفيد موسوما ب: أبو العباس أحمد بن

هَيَّيْ بن محمد بن علي ". جازى الله هؤلاء الرجال وجعل أعمالهم ذخرا لهم، فقد خلد الله ذكرهم وزادهم شرفا بأن صارت أسماءهم أسماء مساجد .

3.3 . مناهج التدريس المعتمدة بمدرسة مازونة الفقهية :

لقد استطاعت المدرسة الفقهية بمازونة أن تقف صامدة أمام أعاصير التغيير، فقد كان لها قدم راسخ لا تحركه الرياح ولا الأزمان، ولا تم طريقة التدريس بما قدر ما يهم مدى قوتها في حفظ الدين الحنيف من كل الشوائب والعيوب وإيصاله إلى بر الأمان، " عُرفت المدرسة بكثرة مجالسها، ونجاسة مناهجها، وثبات مقاصدها " .⁴⁵

فكانت طريقة التعليم الأولى بها هي : التلقين والتحفيظ سالكة بذلك مسلك التسميع والتلقي، تحتم بإجازات مكتوبة يتلقاها الطلبة بعد نهاية مدة التدريس، فيتم اختبار الشيخ للطالب الذي يرى فيه القدرة على ضبط الأصول والفروع المذهبية (فقه مالك) .

منهج الحفظ والتلقين :

وفي هذا المنهج يسرد الشيخ أقوال المتقدمين من علماء المذهب على مسامع المتعلمين من الطلبة، ويتم التحفيظ عن طريق التزديد حتى يصير الحفظ متقنا عن ظهر قلب. وكانت هذه الطريقة هي الطريقة المثلى في التعليم فقد استمر هذا النمط التقليدي ردحا من الزمن معتمدا على " طريقة الحفظ والاستظهار (الطريقة التلقينية الإلقائية)، والتي يكون محورها الشيخ في المقام الأعلى "⁴⁶ ، ويعتبر مصب المعلومات التي يستقبلها الطالب في جو يسوده الاعتقاد في الحقيقة المطلقة .

وقد كان لهذه الطريقة الدور الفعال في تخريج علماء فطاحل تميزوا بالحفظ والنقل، فكانوا حجة في العلوم التي استقوها من مدرسة مازونة الفقهية .

وقد نتج عن هذه الطريقة (الحفظ والاستظهار) فائضا من الوقت استُغل في شكل مساءلات شفوية بين الشيخ وطلابه في بعض المسائل التي تم حفظها دون فهمها على الوجه الأكمل-ولا يكون ذلك إلا ناذرا-.

يقوم الطلبة بإيراد الإشكالات شفها على الشيخ ويقوم الشيخ بإعادة شرحها وإعادة تخريجها إخراجا ميسرا يستطيع من خلاله إفهام ما تعسر فهمه على طلابه، ومن هنا ظهرت طريقة أخرى في التدريس وهي الطريقة الجدلية، سؤال وجواب لأن الطريقة الأولى كانت تمنع السؤال منعاً باتاً إلا نادراً، وتعتبر السؤال معالجة للشيخ، على الطالب أو المريد تجنبها وإلا لحقته اللعنة.

كما كان للنكتة والطرفة الهزلية مكانة لدى بعض الشيوخ في بسط المعلومات وإرشاد الطلبة إلى حلول مسائل مبهمة، وكان لذلك الأثر البالغ في ترسيخ المعلومات.

وكان الشيخ يرمز للسلطة المطلقة، ففي حضرته يعم الهدوء، وتنشر السكينة، والجو علمي بالدرجة الأولى، فلا أحد يتكلم سوى الشيخ أو مدوِّله "الدَّوَال الذي يقرأ المصنف بإيعاز من الشيخ، فالشيخ يجلس على كرسي خشبي مدهون، أمامه المسند - لوح يثبت عليه كتابه-، في مكان يمكن للطلبة رؤيته بوضوح والاستماع إليه، فعملية التدريس عمودية نوعاً ما، الأستاذ في الأعلى والطلبة متحلقين حوله جالسين القرفصاء على حصير، وكأنّ على رؤوسهم طير، لا يتكلمون إلا بإذن الشيخ.

والمتنفس الوحيد الذي كان يجده الطلبة هو عند مغادرة الشيخ قاعة التدريس، ويتولى أحد الطلبة القدامى حلقة الدرس، فيشرح ويبسط المعلومة ويقدمها سائغة لزملائه الطلبة في جو يسوده الإحترام والأخوة، وكانت لهذه الطريقة فائدة أعم في ترسيخ العلوم ونشرها في أذهان طالبيها من الناشئة، كما يقول الحافظ المعسكري.

وظهر في المدرسة الفقهية بموازنة نوع خاص من التدريس ما يسمى الآن بالتّخصّص، فمن الشيوخ الذين درّسوا بها من كان موسوعياً يدرس علومًا مختلفة وله حلقات في أوقات مختلفة ومنهم ما يقتصر على فن واحد لا يتعداه إلى غيره، وربما يختص في باب أو بابين لمدونة الشيخ خليل، ولكنه حجة فيه متمكناً منه إلى أبعد الحدود.

طريقة الإجازات :

كان الطلبة الذين تمكنوا من علم من العلوم وأصبحوا قادرين على خوض غمار التدريس فيه، يطلبون الإجازة وهي الشهادة من لدن الشيخ، تشهد للطلاب بلوغه درجة علمية تمكنه تدريس ذلك الفن، ولا تقدم هذه الشهادة إلا باستحقاق الطالب لها. "و قد تحدث ابن حمادوش عن هذه الإجازات كثيرا ، وسجل معظمها في رحلته، لأنها كانت دليلا على قدرة العالم ومبلغه من العلم، أو بعبارة أوضح: شهادته العلمية في ذلك الزمان، وذاع صيت علماء مازونة في هذا المجال إلى القدر الذي دفع ببعض علماء فاس لطلب الإجازة منهم، فهذا ابن رحمون الفاسي يكتتب "شمس الدين أبو عبد الله بن المهدي المازوني " لطلب الإجازة منه على كثرة العلماء في مدينة فاس. ما يدل على شهرة مدرسة مازونة ورسوخ قدم علمائها ، وبلوغ صيتهم إلى الآفاق .⁴⁷

وكان العلماء والطلبة يجتهدون في قراءة كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري في احتفالاتهم الدينية من صدورهم، وهذا دليل قاطع على قوة ملكة الحفظ وقدرة الاستظهار عند علماء وطلبة مازونة آنذاك . ومن هذا يظهر أن العلوم النقلية التي تعتمد الحفظ منهجا لها كان إنتاجها التألوفي غزيرا .

أما العلوم التي تحتاج إلى استدلال عقلي وآفاق ثقافية واسعة كالتفسير والمنطق وأصول الفقه، فقد كان الإنتاج التألوفي فيها نادرا، واقتصر علماء هذه الفنون بتدريسها دون التأليف فيها .

انتهت إلى مدرسة مازونة الريادة العلمية، فأصبحت وجهة تشد إليها الرحال من شتى الحواضر الثقافية من داخل الجزائر وخارجها كتونس والمغرب، كما يرجع الفضل كله للمدرسة وعلمائها في الحفاظ على المرجعية الدينية في المغرب العربي عموما والجزائر على وجه الخصوص، وبالتالي الحفاظ على الهوية المحلية بدقائق أوصافها حتى لا تذوب معالم الشخصية الجزائرية في غيرها فكان في إلزامها لطلبتها مقررات معينة من أمهات الكتب المذهبية (فقه مالك) الأثر الإيجابي الواضح.

الدور الإيجابي للوقف في نشر العلم بمازونة :

الوقف فعل تضامني سعى الإسلام إليه منذ الوهلة الأولى، وحفز المسلمين عليه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له

" 48 .

وللوقف أغراض كثيرة ومختلفة في جميع أبواب الخير، ومن ذلك العناية بالعلم والعلماء والطلبة والمصلحين، فالكل يشارك بما تسمح به القدرة من عقار ، وأموال، وآبار مياه، ودكاكين، وماشية ، وحيوانات، إلى غير ذلك ، إذن فهو فعل خيري تضامني سامي الهدف، طيب المقصد، فمن الأوقاف والمحيسات الشهيرة في مازونة المساجد، وحتى أن رقعة الأرض التي بنيت عليها المدرسة الفقهية، أبت صاحباتها أخذ المقابل عنها لما علمتا أنها ستستغل في بناء مدرسة لتعليم القرآن وعلومه.

"وإن كل السكان شاركوا بالنفس والنفيس في بناء المدرسة والمسجد بمازونة لما لمثل هذه الأمكنة من قدسية في النفوس، وكثرة المساجد بمازونة تعبر عن ذلك، فكل مساجدها موقوفة على أصحابها على مر الأزمان، فمسجد سيدي عيسى أوعزوز العتيق نموذجاً بارزاً، يقع في حي بوماتع بمازونة القديمة، بني عام 1100 م، من طرف عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين، وهو أول مسجد أقيمت فيه صلاة الجمعة، وكان يضم الطلبة من مازونة وخارجها" 49، واعتبر مركز إشعاع علمي بالمنطقة. وقد كان لهذا المسجد " نظار يقومون بإدارة مداخل الوقف، التي كانوا يوظفونها في دفع رواتب الأئمة ، واعالة طلاب العلم، والمؤذنين ، وشراء الزرابي والفُرش ، ودفع ثمن الترميمات، وشراء زيت المصابيح، وكل مستلزمات المسجد. وكان القاضي هو الذي يشرف على إدارة ومراقبة هذه المصاريف بمعية كاتب وعشرة من صفوة أهل المنطقة" 50، ما يسمى في العصر الحالي بلجنة المسجد، "وقد عقد الشيخ أبو طالب محمد بن علي المازوني الكثير من حلقاته العلمية بهذا المسجد في الفقه وفي مختصر الشيخ خليل وشرح الخرشي والزرقاني والرقائق ورواية الحديث، وحفظ السند" 51 .

ولمن أراد الاستزادة في أسماء الموقفين والمحبيين لأملآكهم الرجوع إلى مجلة الشيخ الرماصي وأعلام غليزان، سلسلة القوافل العلمية، العدد 08 جوان 2013 .

فمعظم المحبين لا يحبون ذكر أسمائهم وذلك لنية دفيئة في نفوسهم، فلم توثق الكثير من أوقاف أهل المنطقة اللهم إلا النزر القليل. والشواهد الوقفية لازالت قائمة تؤدي واجبها منذ تأسيسها إلى يومنا هذا، فما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل .

مكانة مدرسة مازونة في الأوساط العلمية :

قدمنا بعضا من أعلام الفكر والأدب الذين تركوا بصمات فكرية وأدبية وفقهية لها صلة بمنطقة مازونة، منتهجين في ذلك نمط السابقين الذين قدموا الأعلام من أمثال الشيخ محمد الحفناوي، والأستاذ عادل نويهض ، وحتى لا يبقى تاريخ هؤلاء الرجال طي النسيان في بطون الكتب وعلى رفوف المكتبات، سنحاول قدر المستطاع إمطة اللثام ومسح الغبار وتجديد النفس وبعث الأمل، فجيل يحرك جيل، وعمل يكون أساس لعمل آخر وهكذا، فهؤلاء كتب لهم البقاء وإن كانوا موتى صورة فهم أحياء لاشك بأعمالهم وآثارهم، فرحم الله من كانوا سببا في وصول الدين الحنيف إلى هذه البقاع ورحم الله من حملوا مشعل العلم وراية الدين حتى بلغوها مأمنا .

زخرت المدينة بأعلام أكفاء، وعلماء فطاحل لا يُشَق لهم غبار ولا يجارى لهم مضمار، لأنها كانت في وقت مضى قبلة لمن يريد الاستزادة من العلم والتبحر في فنونه، فلم تكن تحمل همَّ المبتدئين، بل كانت تسطر عقول من كانت لهم أرضية علمية، سابقة تعلم، وينوون إتمام المعارف والإلمام بفن أو آخر، فتصقل عقولهم وتُهدب أخلاقهم وتنهض بأنفسهم حتى يبلغوا مراتب عالية، أي كانت بمثابة الجامعة في التعريف الحديث وكان ذلك على حد قول أحد الفرنسيين المدعو " فلانز" الذي شهد سنة 1834 م أن كل العرب يجيدون القراءة والكتابة، وأن بكل قرية يوجد مدرسة قرآنية أو اثنين، وأن بالجزائر كلها يوجد أكثر من 2000 مدرسة تقليدية. وجامعات إسلامية كثيرة كجامعة الجزائر وقسنطينة، مازونة، تلمسان ووهران. فقال بأن هذا الشعب لا يستحق أن يعيش إلا في بلد غني⁵²

وهذه شهادة أجنبي أنصف عرب تلك الحقبة في أرض الجزائر توازي شهادة عربي مسلم عاصر الآونة وعاش ذلك الوقت، الشيخ محمد أبي راس المعسكري، حيث قال : لما ذكر لي الطلبة مازونة وكثرة مجالسها ونجاسة طلبتها وقريحة أشياخها ، سافرت إليها

كنت أقرأ النهار، فأول ما بدأت على الشيخ " مصطفى بن هني " ثم الشيخ " محمد بن ابراهيم بن يونس " ... وقد وجدت هؤلاء الشيوخ بعضهم مشهور بمعرفة الأول(فقه مالك).⁵³ والبعض مقصور على الفرائض ... الخ.⁵⁴

وكان هؤلاء العلماء يشرفون على تكوين الأئمة والفقهاء والطلبة، ويواصل الشيخ فيقول : أبو راس المعسكري في الوقت الذي لم يجد أثناء أسفاره ولا فقيها واحدا بمدن شامية ومشرقية ومغربية شهيرة، كانت مازونة تعج بهم، وأشار كذلك إلى الشيخ محمد الأمير المازوني الذي دانت له الملوك والعبيد وطار صيته شرقا وغربا ، ولد بمازونة وتعلم بها وانتقل إلى مصر وتوفي بها. وهذه شهادة تامة تُفحم كل مُتَقَوِّل وتسكت كل متهجم، فلقد كان العلم في مستوياته العليا بمازونة.⁵⁵

3. خاتمة:

إن فضاء مازونة الحاضرة الثقافية التي ضلت ردها من الزمن يقارب خمسة قرون ، وهي تعلو منارتها لطالبي العلم قد أدّت مالها وما عليها . **حيث** كانت حصنا منيعا مادة ومعنى، فموقعها الجغرافي جعل منها عاصمة بايلك الغرب الذي اتخذته الدولة العثمانية ذرعا يحتمي به من الهجمات، وبابتعادها عن البحر الذي يكون عادة ثغرا من الثغور التي يلجها العدو، وحدث ذلك في الهجمات التي كان يشنها الإسبان على السواحل الجزائرية واستيلائها على بعض منها خلال أزمنة فائتة. وقد شارك طلابها ومشايخها العظام في الذود عن حمى

هذا الوطن، فلم يكن ديدن هؤلاء الرجال طلب العلم والركون إلى الدنيا، والبحث عن رغد العيش والابتعاد عمّا يشغل أمر الدولة آنذاك، بل كانوا يقفون صفا مع الجنود والمجاهدين في الواجهات الأولى للتصدي للعدو، وقد بدلوا النفس و التّقيس لأجل ذلك، وقد أوردنا أمثلة في خضم هذا البحث .

هذا من حيث الماديات الظاهرة، أمّا من حيث المعنى فلقد كانت مازونة بمدارسها ومساجدها وزواياها الحصن المنيع، والذرع الواقى لهذا الدين الحنيف، حتى تنال شرف الدخول تحت قوله تعالى في سورة الحجر " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " الآية 09 .

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف الذي أخرجه مسلم والدراّقطني وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي بِالْمَغْرِبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ " . ضبطه الهروي في معجمه .

فلقد وقف هؤلاء الرجال موقفا نالوا به شرف الحفاظ وحماية شعائر الدين الحنيف، وكتابه المنيف والسنة الزكية من الضياع، حتى أوصلوها إلى بر الأمان، والملاحظ جليا في هؤلاء الرجال الصبغة الصوفية الطاغية على حياتهم، فهم مقبلون على الآخرة نافرين من الدنيا، وقد عُذُّوا و اعتُبروا مرجعيات اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال في الأوساط الشعبية والعلمية، فكانت لمجالسهم وفتاويهم الوقع الحسن، فلا تعقيب على قولهم فقد كانوا هم السادة والساسة ، فلا يحيد عن قولهم إلا هالك، فللمشيخة أصول في التربية ومرجعية دينية متينة، كانت تحكم المجتمعات وتحدد مسارها، فكلمتهم مسموعة وأمرهم مُطاع، فتمّ لهم مُراد هذا الدين في جمع الكلمة ولمّ شمل الأمة .

وتمّت لنا ملاحظة واضحة في كتب التّراجم الجزائرية، أنّه لم يُترجم لعلماء مازونة باستفاضة كافية مثلما تُرجم لعلماء الحواضر الثقافيّة الأخرى، كتلمسان وبجاية وقسنطينة، وحتى أنّه في مرات عديدة لا يُنسب العلامة إلى مازونة رغم أنه درس بها واستوطنها كما لاحظنا ذلك عند الشيخ الحفناوي في ترجمته للحافظ العسكري،

فلم يعزّه إلى مازونة بل اكتفى بذكر أقطار جال بها، كمصر والشام والحجاز. ومازالت الفرصة سانحة لمن يريد

التقصي والتتبع ليعيد بريق تلك المنطقة كما كان في سابق حاله. فالأمة التي لا تهتم بماضيها لاتحسن صناعة

مستقبلها.

5- الهوامش:

- الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية، مختار حساني، المجلد 3، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ص 14.¹
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، سنة 2000 -صفحة 136²/6
- ينظر-ن،م،س،ص،96.³
- ينظر-ن،م،س،ص،96⁴
- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو قاسم سعد الله، جزء 1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص33.⁵
- ن، م، س، ص 34/33.⁶
- ن،م،س،ص،35.⁷
- فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي ونعمته : حياة أبي راس الذاتية والعلمية، محمد أبو راس الناصري الجزائري، مجلد1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1990م، ص45.⁸
- ن،م،س،ص،91.⁹
- الابواب المأذونة من بلاد مغاوة و مازونة، محمد بن صديق، مجلد1، رحال للنشر و التوزيع، وهران -الجزائر، سنة 2009م، ص12.¹⁰
- ينظر، ن،م،س،ص،16¹¹
- الابواب المأذونة من بلاد مغاوة و مازونة، محمد بن صديق، مجلد1، رحال للنشر و التوزيع، وهران -الجزائر، سنة 2009م، ص12¹²
- ن،م،س،ص،16.¹³
- مازونة عاصمة الظهرة، ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري، طاهر جنان، مجلد 1، طبعة1، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، الجزائر، سنة 2005م، ص19.¹⁴
- الابواب المأذونة من بلاد مغاوة و مازونة، محمد بن صديق، مجلد1، رحال للنشر و التوزيع، وهران -الجزائر، سنة 2009م، ص19.¹⁵
- 16 - مازونة عاصمة الظهرة، ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري، طاهر جنان، مجلد 1، طبعة1، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، الجزائر، سنة 2005م، ص12
- ن،م،س،ص،12.¹⁷
- ن،م،س،ص،13.¹⁸
- مازونة عاصمة الظهرة، ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري، طاهر جنان، مجلد 1، طبعة1، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، الجزائر، سنة 2005م، ص15.¹⁹
- مازونة عاصمة الظهرة، ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري، طاهر جنان، مجلد 1، طبعة1، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، الجزائر، سنة 2005م، ص15.²⁰
- ن،م،س،ص،15²¹
- الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أبو زكرياء يحيى بن موسى المازوني، ج1، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر، سنة 2012، ص32.²²
- مازونة عاصمة الظهرة، ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري، طاهر جنان، مجلد 1، طبعة1، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، الجزائر، سنة 2005م، ص13²³
- مازونة عاصمة الظهرة، ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري، طاهر جنان، مجلد 1، طبعة1، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، الجزائر، سنة 2005م، ص13²⁴
- الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أبو زكرياء يحيى بن موسى المازوني، ج1، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر، سنة 2012، ص31.²⁵
- ن،م،س،ص،30.²⁶
- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو قاسم سعد الله، جزء 1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص33²⁷
- 28 --الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أبو زكرياء يحيى بن موسى المازوني، ج1، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر، سنة 2012، ص35.
- فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي ونعمته : حياة أبي راس الذاتية والعلمية، محمد أبو راس الناصري الجزائري، مجلد1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1990م، ص20.²⁹
- 30 -الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أبو زكرياء يحيى بن موسى المازوني، ج1، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر، سنة 2012، ص33.
- الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أبو زكرياء يحيى بن موسى المازوني، ج1، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر، سنة 2012، مأخوذة من كتاب بغية الرواد في
- 31 ذكر الملك بني عبد الواد يحيى بن خلدون 117/1.
- 32 --الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أبو زكرياء يحيى بن موسى المازوني، ج1، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر، سنة 2012، ص30.

33. ن، م، س، ص 31.
34. -- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو قاسم سعد الله، جزء 1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 280.
35. * الفقه: هو الفهم و الفطنة، العلم، علم الشريعة وأصول الدين -- علي بن هدية و آخرون القاموس المدرسي، الموسوعة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص 429/384.
36. -- مدرسة مازونة الفقهية: النهضة و السقوط، يوسف بوكفة، مذكرة ماجستير، علم الاجتماع، جامعة وهران، سنة 2003/2002م، ص 30.
37. -- مازونة عاصمة الظهرة، ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري، طاهر جنان، مجلد 1، طبعة 1، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، الجزائر، سنة 2005م، ص 89.
38. -- ينظر، مازونة عاصمة الظهرة، ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري، طاهر جنان، مجلد 1، طبعة 1، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، الجزائر، سنة 2005م، ص 92.
39. ن، م، س، ص 29.
40. -- ينظر، مدرسة مازونة الفقهية: النهضة و السقوط، يوسف بوكفة، مذكرة ماجستير، علم الاجتماع، جامعة وهران، سنة 2003/2002م، ص 30.
41. ينظر، ن، م، س، ص 31.
42. ينظر، ن، م، س، ص 31.
43. -- المدرسة الفقهية مازونة، بدر الدين أحمد عماري، دار ابن حزم، بيروت -- لبنان، 2009م، ص 53.
44. -- مدرسة مازونة الفقهية: النهضة و السقوط، يوسف بوكفة، مذكرة ماجستير، علم الاجتماع، جامعة وهران، سنة 2003/2002م، ص 71.
45. * الدوال: ويقال له أيضا الدوان و المسمع، وهو الذي يقرأ المصنف على الشيخ.
46. -- * الراتب: قراءة حزين من القرآن الكريم كل يوم لتتم الختمة في نهاية الشهر.
47. -- المدرسة الفقهية مازونة، بدر الدين أحمد عماري، دار ابن حزم، بيروت -- لبنان، 2009م، ص 56.
48. -- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن حجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المكتبة العصرية، صيدا -- بيروت، 1424هـ/2004م، الحديث رقم 4223، ص 619.
49. -- إطلالة عن الوقف مازونة خلال الفترة العثمانية، موساوي مجذوب -- بن كرفة فوزية، سلسلة القوافل العلمية، مجلة الشيخ الرماصي وأعلام غليزان، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف العدد 08 جوان 2013 ص 158.
50. ن، م، س، ص 159.
51. ن، م، س، ص 160.
52. -- الابواب المأذونة من بلاد مغراوة و مازونة، محمد بن صديق، مجلد 1، رحال للنشر و التوزيع، وهران -- الجزائر، سنة 2009م، ص 95.
53. -- الجزء الأول يقصد به الجزء الأول من كتاب مختصر شيخ خليل في الفقه المالكي.
54. -- فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي ونعمته: حياة أبي راس الذاتية والعلمية، محمد أبو راس الناصري الجزائري، مجلد 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة م 1990، ص 94.
55. -- الابواب المأذونة من بلاد مغراوة و مازونة، محمد بن صديق، مجلد 1، رحال للنشر و التوزيع، وهران -- الجزائر، سنة 2009م، ص 94.